الحسابات الآسيوية في صراعات الشرق الأوسط

بقلم/ عبد المعطي أبو زيد

رئيس التحرير

يدور الصراع المسلح بكل فصوله وجبهاته الذي تشهده منطقة الشرق الأوسط على مدى عامين حتى الآن .. على أرض آسيوية، فجبهات الصراع جميعها في منطقة غرب آسيا، في فلسطين ولبنان وإيران وسوريا والعراق واليمن، وجميعها دول تنتمي للقارة الآسيوية، في الوقت نفسه؛ فإن الصراع المسلح الآخر المستمر منذ ثلاثة أعوام حتى الآن يقع على تخوم آسيا، وطرف أساسي فيه هو طرف آسيوي في معظمه متمثلاً في روسيا التي تخوض حرباً طويلة مع أوكرانيا، التي تعد واجهة لصراع روسي – غربي شامل.

وهكذا تبدو آسيا في قلب المشهد الدولي الراهن، وأحد أكثر المناطق تأثراً بنتائج الصراعات الدائرة، فالأمن الآسيوي بكامله سوف يتأثر بلا شك بما سيفضي إليه الصراع المسلح في الشرق الأوسط على مختلف الجبهات، وسوف يتأثر حتماً بما ستؤول إليه الحرب الضارية بين روسيا وأوكرانيا.

رغم ذلك، فإن مواقف القوى الآسيوية والتي ظهرت خلال تبادل القصف بين اسرائيل وإيران، تشير إلى تحلى هذه القوى الآسيوية بالكثير من الحذر والحسابات المعقدة، والتقدم والتراجع على نحو لا يتناسب مع خطورة الأحداث، ولا مع ما يمكن للقوى الآسيوية الصاعدة أن تضطلع به في أحداث تدور بالفعل على أراض آسيوية، ويتطاير الشرر منها ليصيب مصالح عديدة اقتصادية وسياسية وأمنية للدول الآسيوية، من ممرات مائية، ومسارات تجارية، وسلاسل الإمداد، فضلاً عن أن انتهاكات قواعد القانون الدولي وسيادة الدول وتهديد استقرار وسلامة أراضيها إنما يرسي سوابق سوف تؤثر على الجميع في المستقبل القريب.

ورغم أن المواجهة العسكرية بين إيران واسرائيل لم تستمر سوى (12) يوماً، إلا أنها كانت أكثر فصول الصراع الراهن خطورة بسبب ما يمكله كل من الطرفين

من القوة العسكرية، وما يمكن ان يصل إليه الصراع بينهما، فضلاً عن العامل الجغرافي الذي يهدد بتوريط أطراف أخرى إقليمية ودولية في هذه المواجهة، وهو ما حدث فعلاً من خلال تورط القوة العسكرية الأمريكية في توجيه هجمات إلى أهداف إيرانية، انطلاقاً من قواعد أمريكية توجد في دول عربية، ثم كان الرد الإيراني على هذه القواعد، مثالاً صارخاً على ما يمكن أن تسفر عنه هذه المواجهة من مخاطر وتعقيدات.

وباستثناء موقف دولة باكستان القوى في تأييد الموقف الإيراني ورفض الاعتداءات الإسرائيلية، فقد تراوحت مواقف الدول والقوى الآسيوية بين الاكتفاء بالمواقف الدبلوماسية والبيانات السياسية، والتصويت الإيجابي في الأمم المتحدة، وهي مواقف سرعان ما خفت وهجها سريعاً، استدراكاً لمصالح وحسابات مع أطراف أخرى دولية وإقليمية، في الوقت نفسه، كشفت هذه المواجهة، ثم ما أعقبها من اعتداء على دولة قطر أن منطقة الشرق الأسط بحاجة إلى حلفاء استراتيجيين وموردين لأسلحة دفاعية متقدمة من خارج المعسكر الغربي الذي ثبت عملياً انحيازه لدولة الاحتلال على حساب حلفائه وتحالفاته والتزاماته الأمنية مع دول أخرى في منطقة الشرق الأوسط.

إن الأمن في هذه المنطقة أصبح مكشوفاً أكثر من أي وقت مضى، وهو واقع يتطلب إعادة النظر سواء من دول المنطقة بإعادة تقبيم جدوى تحالفاتها، أو من القوى الآسيوية القادرة بالفعل على المساهمة في استعادة مصادر الاطمئنان والردع لدول الشرق الأوسط بما تملكه من قدرات شاملة، وأسلحة متطورة.

ولا شك أن الاتفاق الدفاعي الذي تم توقيعه في سبتمبر 2025 بين المملكة العربية السعودية وباكستان، والذي قد تتبعه اتفاقات أخرى مماثلة، هو تعبير عن الإدراك السريع لمتطلبات الأمن والاستقرار في المنطقة .. التي تؤثر بدورها على أمن واستقرار القارة الآسيوية .. والأمن الدولي بكامله.